

# مجلة عالم علي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٨ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٦ هـ

## علائق الحبشة بالبلاد العربية (١)

« في الجاهلية وفي الاسلام »

(قدم الحبشة واستقلها) — الحبشة أهبها السادة من أقدم ممالك العالم ان لم اقل اقدمها ، وهي الوحيدة بين ممالك الشرق ، التي حافظت الى يومنا هذا على كيانتها واستقلالها ، على الرغم من امواج بحور الاطماع الاستعمارية ، التي طالما لاطمتها فالنتها صخرة صلدة انكسرت عليها مياهها المذبذبة . دخلها اليونانيون الاقدمون جاليات في عهد بطليموس ( Ptolémée ) الثالث ولكن لم يحكموها ، واكاسرة الفرس مع قرب دارهم واتساع ملكهم لم يملكوا يوماً شبر ارض فيها ، وقياصرة الروم الذين دوخوا الشرق الادنى في آسية وإفريقية لم يتسلطوا عليها ، وغزاهم دراويش السودان اكثر من مرة فعادوا على أعقابهم خامسين ، وفتحها العرب سنة ١٥٤١ فلم تطل إقامتهم في قلبها ولم يستتب لهم فيها امر حتى أنجد البرنقاليون الأحباش فطردوا الفاتحين ولكنهم ظنوا ان الجرح صفا لهم ، فأقاموا نفوسهم مكان العرب ولكن لم تطل مدة استعمارهم ، وفتحها الانكليز عنوة سنة ١٨٦٨ بجيش جرار مستكمل العدة والسلاح ، ومستوفي الميرة والذخيرة ، ودمرت فنابلهم عاصمتها مكدلا فوق رأس النجاشي ثيودورس الذي انتحر يومئذ من شدة الغيظ ، ولكنهم لم يأنسوا من نفوسهم بعد ذلك النصر كفاءة لاستعمار تلك القلاع الطبيعية النائية الدار الصعبة المسالك فاكتفوا من الفتح ان عقدوا

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد عبد الله رعد احد أعضاء المجمع العلمي العربي

اللقاه في بهو المحاضرات في السنة الماضية .

معاهدة مع خلفه النجاشي يوحّدس واخلو له بلاده ، وحمل عليهم المصريون حملات متواليات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٦ في عهد الخديو بين محمد علي واسماعيل ، وكانت هذه الحملات انكليزية اكثر مما هي مصرية ، ابتغوا منها فاض معضلة النيل ببسط السلطة الانكليزية على اعالي بنايبعه ومجاريه في الاصحاح الحبشية ، وكل حملة كانت تعود بالخبية على أعقابها بمد تكبدها الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، وحرابهم الطليان فانكسروا شر كسرة في موقعة عدوى سنة ١٨٩٦ ، ولم تجد الالمان دسائسهم واموالهم وموارياتهم السياسية فتيلاً فيما اشراأت اليه أعناقهم وزينت لهم اطاعهم في ارض الحبش فذهبت أحلاماً تحفر في قلوبهم ، على حد قول راستين شاعر الفرنسيس .

قال نخامة هانزي دي جوفنيل مندوب فرنسا في جمعية عصبة الامم وعميد الدولة المنتدبة في سورية السابق ، في مقدمة له على كتاب سعادة المسيو بييرآليب « كل فعل نفعله الدول الاوربية تبغي من ورائه بسط لواء سلطتها على الحبشة سواء كان ذلك الفعل مباشرة او بالدسائس ، انما مصيرد الاخفاق » . وقال ايضاً بعيد هذا « لانظرن الى المشكلة الحبشية نظرنا الى مشكلة استعمارية بجمته ، ولا نربتها كباقي المعضلات الافريقية فتحلها بالتجزئة الى مناطق نفوذ تناسب مصالح الحكومات المصافيتها ، بل ينبغي ان نحسبها مشكلة دولية وان نحلها بروح دولية مشتركة » . ولقد قرن القول بالفعل اذ عمل على ادخال الحبشة في عصبة الامم .

على ان الحبشة لم تعيش عشرات القرون في عزلة عن شعوب الارض بل كانت مدى حياتها على اتصال دائم بالامم وخصوصاً بجاراتها العربيتين اليمن ومصر ، اللتين كان لها معها تجارة واسعة . حاربت جيرانها وحاربوها ، كبرت وصغرت ، فتحت بعض بلادهم وفتحوا بعض بلادها ، سنة الله في الامم والشعوب والممالك ، كسنته في الفرد يسعد ويشقى ويفقر ويفنى ولن تجد لسنة الله تبديلاً . الا ان كيان الحبشة الاساسي واستقلالها الداخلي والخارجي كانا في كل زمان ولا يزالان الى يومنا هذا أمنع من عقاب الجو . على ان امتزاج الحبش بالامم الغربية اثر في حضارتهم وعوائدهم واديانهم ولغاتهم حتى وفي لون بشرتهم وملامح سماتهم ايضاً . قال المسيو بييرآليب عن تأليف

( Maurice Delafosse و James Bruce ) عن كتب الثقافة من المؤرخين الاقدمين « ان الحضارة الحبشية نشأت في جزيرة العرب فحملها البانيون الى شرق افرىقية منذ عهد بعيد ، ونمت بامتزاجها بالحضارة المصرية » وقال ايضاً بعيد هذا « وانا لآرى الحبشة خلال العصور السالفة يشاركون شديد الاشتراك حياة ذلك الشرق الذي انبزغت لنا منه شمس حضارتنا وانبثق لنا منه نور عقائدنا » ( يعني اور بابضمير الجمع ) وختم الموضوع بقوله « يستدل من هذا ان الحبشة كانت في ذلك الزمان مشرّعَ المفارق ، اي نقطة الاتصال بين حضارة البلاد المتصلة ببحر الروم ، وبين حضارة البلاد المتصلة ببحر الهند ، وان أقل ما يقال عن الاحباش انهم أمة افرىقية لا وجه للشبه بينهم وبين سائر الافرىقيين العبيد ، لا في اصلهم ولا في عقليتهم ولا في اذواقهم ولا في تقاليدهم ( عني بالتقاليد حضارتهم وعاداتهم وعقائدهم ) . ثم تساءل هل هم يا ترى من نسل سام حقيقة أم من نسل يافث » انتهى .

ونحن نجيبه بالنزى الذي توخاه هو نفسه من بديع شروحه . ان الحبشة ساميون بلا رية ولا شك ، باجماع آراء العلماء والفلاسفة والمؤرخين ، تشهد على ذلك ملامح وجوههم وهي أقرب شبيهاً الى النسل الأبيض منها الى العبيد . وبهذا دلالة على ان دماءهم كثيرة الامتزاج بدماء الام العربية والمصرية . ولم تدعهم العرب حبشاً الا وعنت بهذه الكلمة صفة الاختلاط في الاجناس الأدمية . تشهد لذلك لغتهم فهي حميرية الاصل كالعربية وفيها الشيء الكثير الذي يشبه لغتنا من حيث الوضع واللفظ والاشتقاق والوزن والاعراب ، حتى ان مئات المفردات من الكلام نفيد نفس المعنى في العربية والحبشية معاً ، منها ما هو حبشي الاصل فصار عربياً فصيحاً كالمنبر والمصحف ومنها ما هو عربي الاصل صار حبشياً كالعين والرأس ومنها ما هو مختلف في حبشية اصوله ام عربيتها والأصح ان يقال فيه ان كلا اللغتين اشتقناه من الحميرية وهي ام اللغتين الشقيقتين .

\*\*\*

( اديان الحبشة ) - ا وثنيتهما = دانت الحبشة اولاً كسائر الام القديمة بالوثنية فمبدت الاصنام وبعض الحيوان والنبات . ومن معبوداتها من الاصنام ما كانت عبادته شائعة عند عرب الجاهلية كاللات والعزى وبجبر ومالم تعبدها العرب كمنجريم

ومدر ، ومن الحيوان الحية وقد شاعت عبادتها في الحبشة قبل ان يأتيهم دعاة اليهودية الذين هودوهم ، ومن النبات بعض الاشجار وهي لا تزال الى اليوم موضع اجلالهم ونذور عند قبائل الكالآ . قال المستشرق الكبير العلامة ( Ignacio Guidi ) احد اعضاء مجمعنا العربي في محاضرته التاسعة والثلاثين في الجامعة المصرية « نزع الحبش ان مينيلك بن سليمان اول ملوكهم ولبس بصحح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل منحرم وبحير ومدر ثم انتصر من ثنصر من ملوكهم ، وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم اي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلاً ثم ثنصرهم . واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على ثنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم تكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فكنت في بذكر ترجمتها العربية وهي : « نصبت منبراً هنا لمنحرم وبحير ومدر » ثم في كتابة أخرى : « نصبت منبراً لرب السماء الذي اعانني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وانا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم انه ملك نصراني لا وثني لانه في الكتابة الاولى يسجد لصنم ثم في هذه يسجد لرب السماء وهو الله . وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم » اه .

ومن عجيب ما بقي من اثر عبادة هذه الاصنام ، ان المسيحيين الاحباش ابقوا اسمي بُحير ومدر في أسماء الله جل جلاله ، فبحير كان على ما يظهر آله السماء ويقال له بالعربية المشتري ( Jupiter ) وهو اكبر معبود عند اليونانيين الاقدمين . ومدر كان آله الارض . فيقولون اليوم اكزي بُحير ومدر اي آله السماء والارض يعنون به الله الخلاق العظيم دون الخليفة من الطواغيت .

٢ يهوديتها = واذ أمها اليهود منذ عشرة قرون قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ ايضاً ، هو دوا القسم الاعظم من الحبشة ومنهم الامراء والملوك والناس على دين ملوكهم . وقد اصبحت في ذلك الدور شرائع الحبشة الدينية والمدنية صورة طبق الاصل لشرائع مملكة اسرائيل . ودامت على هذا الطراز لا الى دخول النصرانية اليها فحسب ، بل ان معظم حضارتها الحالية ، والشئ الكثير في حفلاتها الدينية والمدنية حتى يومنا هذا ، مقتبسة عن عوائد هيكل سليمان وبلاط ملوك اسرائيل ، من ذلك ان قساقستهم ترقص في

بهم كما كان يرفض داود النبي صاحب الزبور و كهنه أمام تابوت العهد ، ضاربين بالدفوف والصنوج وعازفين على المزمار والقيثارة كما كان يفعل كهان اليهود في ذلك الزمان الغابر . وكما كان سليمان الحكيم يجلس على كرسي القضاء ليقضي بعدله المشهور بين رعيته كذلك يجلس النجاشي مرة في كل اسبوع ليسمع بنفسه شكاوي أمته وظلاماتها وينصف بينها المظلوم من الظالم ، وليس لعظيم ولا لامير ولا لاي كان من الحكام ان يمنع احداً من استصراخ الملك في امر قضيته . . . والحبشة الى اليوم بطهرون صبايهم بالختانة على سنة اليهود اولاً ثم يصبغونهم بماء المعمودية على سنة النصارى .

ولما نصرت الحبشة ابي بعضهم الا ان بقي على يهوديته ففروا الى جبال السمن حيث الفوا لانفسهم مملكة صغيرة ومدكوا عليهم فنياس من سبط يهوذا فعرفت هذه المملكة الى اليوم باسم مملكة فلاشا . والى فنياس يت رؤساء الفلاشا اليوم اي انهم يزعمون كالنجاشيين الانتساب الى صلب سليمان الحكيم . على ان استقلال هذه المملكة الصغيرة لم يدم طويلاً وهي اليوم خاضعة لصولجان النجاشي .

٣ نصرانيتها = في السنة السبعين لليلاد حج امين خزائن المملكة يهوديت صاحبة اكسوم الى اورشليم ؛ يسجد في الفصح في هيكل سليمان على سنة اليهود ، وكان هذا الوزير حبشي خصباً « ومن الغرائب ان أمناء خزائن النجاشيين اي وزراء ماليتهم ، لا يزالون الى اليوم ينتخبون من الخصيان » واذ كان صاعداً من حجه صادف على الطريق في غزة القديس فلّس اول الشمامسة وهو من رسل المسيح السبعين ، فنصر على يده كما روي في فصل أعمال لرسل من كتاب العهد الجديد . واذ بلغ الحبشة بشتم ملكته النجاشية بالانجيل فنصرت ونصر معها قوم من المقربين ولكن ما عتحت الحبشة ان عادت الى يهوديتها بعد موت النجاشية يهوديت وذلك الخصى . حتى كان القرن الرابع لليلاد الذي فيه عمت النصرانية بلاد الحبش ، وكانت نصرانيتها على يد شاب فينيقي يدعى ( Frumence ) ابن اخي الفيلسوف السوري ميروبيوس الحكيم . وكانت لمحبه الى الحبشة قصة تخرج تفاصيلها عن ملاك هذه المحاضرة . ومن ذلك العهد دامت النصرانية مذهب النجاشيين ، وان الشعوب على دين ملوكها .

٤ اسلامها = اول ما دخل الاسلام الحبشة في عهد النبي (ص) اذ هاجر اليها

الصحابة هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في دبتهم من قر يش وقد أفردنا لهذه الهجرة فصلاً مخصوصاً من هذه المحاضرة . ثم لما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام اخذوا يبشون الدعوة اليه في البلاد القريبة اليهم وبهذه الصورة انتشر الاسلام بالارشاد والافناع في انحاء الحبشة الساحلية كبلاد هرر والصومال والدناكل والعدل والواو والاغاو وسوهو على يد التجار ، فالحبشة كانت ولا تزال الى اليوم كثيرة العلاقات التجارية مع البلاد العربية . واذ بعث الخلفاء الراشدون سراياهم وكتائبهم ففزوا البلاد ، ودوتخوا الامم في آسية وافريقية حتى وفي اوربا ايضاً . وقصد المسلمون في هذه الفتوحات التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار ، لم يحولوا نظرهم الى الحبشة وهي جارتهم حتى القرن السادس عشر للميلاد . وسأذكر بعيد هذا حديث فتح الحبشة بجيش من مسلمي سواحل شرق افريقية بقيادة الامام احمد .

\* \* \*

( اصل الأحباش ) - ذكر المسيو پيبرآيب في كتابه القيم الذي دعاه « مملكة النجاشين » ورأيه في ذلك رأي معظم العلماء الذين بحثوا في مواضع اصل الامم « ان قوشاً ابن ابن نوح عليه السلام ذهب ببنيه وولداهم الى ارض الحبشة عن طريق مصر والسودان فسكنوها وفيها توالدوا ونموا وتكاثروا وملأوها بنسلهم وأعقابهم ، وان أحفاد قوش هم الذين بنوا مدينة اكسوم قبل عهد ابراهيم خليل الرحمان عليه السلام » .

مدينة اكسوم أيها السادة هي اول عاصمة في الحبشة وأقدم مدنها بل قل هي من أقدم مدن العالم . فيها الشيء الجلل من الآثار القديمة ومسلات ( Obélisques ) عجيبة واعمدة ضخمة وأبنية فخمة . فمن هذه الآثار ما عملت فيه أيدي الدهور فخطمته فدرست أجزاءه وبقيت أجزاء مبعثرة . ومنها ما ازدردت بالمصور واعاصيرها ولا تزال الى اليوم اطلالاً . فيها كثير من الكتابات بعضها مسارية وبعضها حميرية وبعضها يونانية وبعضها حبشية . ومن هذه الآثار ما هو أقدم عهداً مما ظن الرحالون الذين رأوها ويرجع تاريخها على الاصح الى عهد نجم الكلب المعبر عنه عند المؤرخين الأقدمين باسم ( Constellation du Chien ) . وأجمل ما يشاهد بين هذه

الآثار معبد عريق في القدم وفي وسطه عرش ضخم مهيب مصنوع من صخر الرخام المحجب المعروف بالفرانيت ، وعلى زواياه الاربع أعمدة مربعة الشكل . المعبد والعرش الذي فيه محفوظان الى اليوم جد الحفظ ، فالمعبد قُلمع منه الصنم الذي ربما كان فوق العرش وحول كنيسةً يحج إليها الاحباش باحترام وتقى وهم يزعمون ان فيها لوجي الشريعة اللذين أنزلها الله جل جلاله على موسى الحكيم عليه السلام مكتوباً عليهما الكلمات العشر . ويروون ان هذين اللوحين المقدسين نُقلا الى الحبشة عندما خرب البابليون اورشليم وهيكل سليمان . ويزعمون ايضاً ان هذا العرش هو الذي جلس عليه منيلك الاول بن سليمان الحكيم من ملكة سبا ، لذلك قضت التقاليد الحبشية ان يذهب كل نجاشي جديد ويجلس على هذا العرش عندما يصلي على رأسه الاسقف ويلبسه التاج . . مثل هذه التقاليد كثيرة في نوارنج الملوك . أذكر لكم على سبيل المثال سلاطين بني عثمان فكانوا بقلدون السيف - في جامع محمد الفاتح وملوك فرنسا فكانوا يتوجون في كاندراية ( Reims ) .

اما تسمية الحبش بهذا الاسم فقد أجمع العلماء على انها مشتقة من قوش التي صارت بالتحث «حبش» على نوالي الازمان واللغات . وتسميتها ( Abyssinie ) بالفرنسية وباقي اللغات اللاتينية فانما هي تحريف عن كلمة حبشي اخذاً عن كتب البرتقاليين الذين استعمروا بعض أقاليمها او بالحري هيمنوا على مقدرات هذه الاقاليم مدة ما واضعيتها تحت حمايتهم . فالبرتقاليون يعبرون في كتابتهم عن حرف الشين بحرفي ( s ) ( ss ) فكتبوا حبشي ( Abessin ) وهم بلفظون أبشين فقرأها غيرهم من الافرنج بلفظ السين المشددة اي أسين ومنها اشتقوا ( Abyssin ) و ( Abyssinie ) . وزعم لبعض المؤلفين ان هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية ( Abissus ) وتعريبها الهاوية قالوا با في الحبشة من الاودية والوهاد ولكن هذه الرأي نبذه العلماء .

ولها اسم آخر ( Ethiopie ) . وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما ( Aitho ) وتعريبها أحرق و ( Pso ) الوجه ، قالوا للسواد وجوه قاطبها . وقد دعته بهذا الاسم الجالية اليونانية التي رحلت اليها في عهد القيصر بطليموس

( Ptolémée III Evergète ) وهذه التسمية لا تزال الاعم الى اليوم والمستعملة عند الحبشة انفسهم .

\*\*\*

( اول علائق الحبشة بالبلاد العربية ) — رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد سليمان الحكيم . هي الرحلة التي ذكرتها الكتب المنزلة فضلاً عن تواريخ الاقدمين وقصص القاصين . القرآن الكريم والتوراة المقدسة والانجيل الطاهر أنواع على ذكر رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد الحكيم سليمان بن داؤود اي منذ نحو ثلاثين قرناً . تأليف عديدة شرقية وغربية ملأى بالفرائب عن هذه الملكة ذات الاصل الغامض والحكايات السحرية كأنها قصص الجن . من كانت هذه الحورية او الجنية التي افاضت الافاصيص بوصفها جعلوا لها بشرة كالتحاس وعينين حمراوين كالعقيق ؟ أكانت حبشية ام بانية ؟ أم يهودية كانت ام مجوسية ؟ تضاربت في ذلك آراء المفسرين فمنهم من قال ان سبا ( بالسين ) او سبأ ( بالسين ) كانت مدينة في اليمن على عهد الحميريين وحتهم من قالوا بل كانت مدينة في شرق افريقية . قال فيها الدكتور ( Mardrus ) الافرسي في كتابه الذي عنوانه « ملكة سبا » . . . . . وامانك الملكة الآسيوية التي هام سرُّ ذكرها فوق العقول والادحفة فان اسمها عند الشرقيين بمثابة صورة مقدسة باسناد اربعة : ذكرها في السورة الرابعة والثلاثين من القرآن الكريم ( وهي سورة النمل ) وذكرها في التوراة العبرانية المقدسة بلغة شعرية . قفأة وذكرها في الانجيل الطاهر في الاصحاح الثاني عشر من بشارة متى ودانم ذكرها في سلالتهما وهي الأسرة المالكة في الحبشة » . انتهى .

على ان الآراء وان تضاربت فملكة سبا التي رحلت تسمع حكمة سليمان بن داؤود النبي ملك يهوذا كانت بلا شك حبشية ، لان الاقدمين كانوا يسمون حبشة جميع البلاد التي طورها مصر آسيوية كانت ام افريقية ، يوم اذ كانت سلطنة النجاشيين شاملة تلك المقاطع حتى أواسط افريقية ، واذ كان البحر الاحمر خليجاً قائماً في وسط تلك المملكة الواصلة الارجاء . قال سترابون : « الحبشة اسم تعرف به الارضون



الممتدة في الشمال» وذكر هوميروس صاحب الالياذة «ان الحبشة تمتد من البحر الى البحر» اي من بحر الهند الى بحر الظلمات او الاوقيانس الاطلنطي .  
 واذا تحررنا أقدم الروايات في تفاصيل رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ، وجدناها في كثير من المخطوطات الحبشية القديمة الموجودة الآن في بعض المتاحف الاوربية ، وأهمها المحفوظة في الـ ( Bibliothèque Nationale ) وهي المكتبة الوطنية في باريس ، وفي الـ ( British Muséum ) وهو المتحف الانكليزي بلوندره وفي قصر آل ( d'Abbadie ) في شمال فرنسا . ومن هذه المخطوطات كتاب كبيراً انكسنت ( وتعر به عظمة الملوك ) يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وقد نشره بالطبع العلامة المستشرق ( wales Budge ) حافظ العاديات المصرية والاشورية في المتحف البريطاني .

رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ايها السادة ، وقصة تاريخية لاجدال بصحتها ، ولكن في المخطوطات التي روت تفاصيلها اوهاام ومقالة وغرائب تحتاج الى الاثبات ، وأعجبها رواية لم ننوّه بها الكتب المنزلة التي جاءت على ذكر هذه الرحلة ، وليس لها أسناد أخرى في كتب قدماء المؤرخين الذين دونوها ، وهي : ان بلقيس كما دعاها العرب عن التقاليد الاسيوية او ميقادى كما يدعوها الاحباش عن مخطوطاتهم القديمة أعجب حسنها الحكيم سليمان فاتخذها ابن زوجته وولد له منها ولد سماه منيلك . فلما شب هذا الغلام أرسله ابوه ملك العبرانيين الى الحبشة بجاشية كبيرة من رجاله فنزل عاصمتها اكسوم وادخل الدين اليهودي وكانت الوثنية شائعة في تلك البلاد وخصوصاً عبادة الحية .

الاحباش مقتنعون كل الاقناع بهذه الرواية ، وهم ينزلونها منزلة الصحة التي لا ريب فيها ، و يقولون ان ابن سليمان هذا هو منيلك الاول ومن صلبه تسلسلت ملوكهم من ثلاثين قرناً الى اليوم . لذلك فاخر النجاشيون بهذا الحسب والنسب وكلهم ادعوا المت اليه من بُعد الذب بين العاهل والآخر ولقبت الأسرة المالكة بالامرة السليمانية ، وملوكها بالقباب مختلفة فيها صبغة الارث وصيغته عن جدهم الموهوم سيدنا سليمان . فكان النجاشي نقلاً هبانوت مثلاً بلقب بعظيم ملوك الناصرة وبسلبيل

النبيين داوود وسليمان ، والنجاشي يوحنا س بملك صهيون ، والنجاشي منيلك الثاني باين سليمان بن داوود حسب الجسد وبالاسد الظافر من سبطيهوذا ، وغيرهم من النجاشيين بما ضاهاها من الالقاب .

انا ممن لم يقنعوا بصحة هذه الرواية وأميل الى رأي القائلين بان هي الاخرافة لفقها قدماء الاحباش فنناقشها عنهم الاحقاب وجماعتها عقيدة وطنية راسخة . ولذا لا بد لها من أساس وهو دخول الدين اليهودي الى الحبشة من قديم الزمان ، فاطن الاساس الذي بنوا عليه هذه الخرافة التاريخية هو هرب بعض اليهود الى الحبشة في ثلاثة اوانٍ مختلفة عريقة في القدم : اولاً عندما تغلب ملك اشور على مملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبي اهلها ، ثانياً عندما افتتح بختنصر ملك الكلدانيين القدس وخرّبها سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم هيكل سليمان ولم يبق على عموم سكان مملكة يهوذا الجنوبية واجلا الاحياء منهم الى بابل ، والثالث عندما نادى ملك فلسطين النيقوس ايفانوس اليهود العداء واضطهدهم سنة ١٢٤ . وفي هذه الاوان التاريخية الثلاثة جلا كثير من اليهود الى مصر والسودان وسائر النواحي وخصوصاً الى البلاد العربية كالشام والعراق والحجاز واليمن ولا يبعد ان قسماً من هؤلاء وخصوصاً الذين هاجروا الى مصر العلياء والسودان جاوزوها الى الحبشة عن طريق المعطربة وانضموا فيها فان مناخ الحبشة الجبلي خير من مناخ بطائح السودان . والله اعلم .

\*\*\*

( ذكر احتلال الحبشة الين ) — قامت في اوائل القرن السادس حرب بين ذي نواس صاحب الأخدود وعريه وهو تبع يهودي وبين عرب نجران النصراني وذلك بان طمع ذو نواس بقبة نجران ولم تكن لليهود كعبة في اليمن فأراد اعلاء دينه بتحويل قبة نجران الى كعبة يهودية .

قال ابن الاثير فسار ذو نواس يجنوده الى اهل نجران ودعاهم الى التهود وخيّرهم بين ذلك والقتل فاختراروا القتل فمُدَّ عندئذ بهم وأُفنى منهم قريناً من عشرين الفا بين قتل بالسيف واحراق بالنار وخرّب كعبتهم . فأُفلت منهم رجل يقال له دوس ذو هابان وهرب على فرس له فسلك الرمل ومضى على وجهه حتى اتى قيصر ملك

الروم ( يقول المؤرخون ان هذا القيصر كان يوسنيوس الاول ) فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم . فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه النجاشي ٧٠ ألفاً من الحبشة « يقول المؤرخون الاحباش ان هذا الحادث وقع في زمن النجاشي كالب او خالب وبعضهم يقولون خالب الاصبهان » وامر عليهم قائداً يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الاشرم . فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان فلما أحس ذونواس استنجد الأقبال فلم يتجدوه وقالوا يدافع كل منا عن بلاده . فسار اليه بمن أطاعه من قبائل اليهود . فلما التقوا انهزم ذونواس واصحابه مقهورين ولحقت بهم الحبشة وأعمت السيف فأنت ثلثهم واختل ارباط اليمن واقام بها وخرّب قصورها وأذل أهلها . فلما رأى ذونواس منازل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به وخاض ضحاح البحر حتى أفضى به الى غمره فأدخله فيه وكان آخر العهد به . انتهى عن ابن الاثير .

وفي رواية أخرى ان الحبشة لما نزلوا بساحل اليمن ولم تجد الاقبال ذونواس ، صنع مفاتيح وحماتها على عدة من الابل ولقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي اكم ولا تفنلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك وداروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه أصحابك لقبض الخزائن فنفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقبال بقتل من يفتد عليهم ففعلوا ولم ينج من الحبشة الا القليل فلما سمع النجاشي جهة زحمة أخرى بقيادة ارباط وابرهة فأنجحت الحملة الاولى وانزلت البلاء بذي نواس وقتلت ودمرت وأحرقت واستوات على اليمن واستعمرتها . قال في ذلك ذو جدر الحميري :

هو نك ليس يرد الدمع ما فانا لا يهلكي أسفا في اثر من ماتنا  
أبعد بينون لا عين ولا اثر وبعد صلحين ببني الناس أبياننا

بينون وصلحين هما كة مدان من قصور اليمن التي هدمها ارباط .

قال ابن هشام : وهذا الذي عنى سطيج الكاهن بقوله لربعة اي بطن ارضكم الحبش

وايملكن ما بين ابن الى جرش . والذي عنى شق الكاهن بقوله لينزلن ارضكم  
السودان وتملككن ما بين ابن الى نجران .

قال ابن اسحق : فأقام ارباطُ بارض اليمن بعض السنين في سلطانه ثم نازعه في  
امرالحم ابرهة الحبشي حتى انحازت الحبشة الى كل واحد منها طائفة . ثم سار احدهما  
الى الآخر برجاله فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارباط انك لا تصنع بان تلقي  
الحبشة بعضها ببعض حتى تفتنهما شيئاً ، فابرز اليّ وأبرز اليك فأبنا أصاب صاحبه  
انصرف اليه جنده . فقبل ارباط بذلك وكان رجلاً عظيماً طويلاً فخرج ، وخرج  
اليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً وخلفه غلام يمنع ظهره . فرفع ارباط الحربة  
وضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه  
وعينه وشفته فبذلک سمى ابرهة الاشم . وحمل الغلام على ارباط من خلف ابرهة  
فقتله فانصرف عند ذلك جنود ارباط الى ابرهة واجتمعت عليه كلمة الحبشة  
باليمن فحكما .

فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على اميري فقتله بغير امري  
ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يبطأ بلاده ويمز ناصيته . فحاق ابرهة رأسه وملاً جراباً  
من تراب اليمن وبعث به الى النجاشي وكتب اليه : ايها الملك انما كان ارباط عبدك  
وانا عبدك ، فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك ، الا اني كنت أقوى على امر  
الحبشة وأضبط لها وأسوس منه . وقد حلفت رأسي كله حين بلغني قسم الملك  
وبعثت اليه بجراب تراب من ارض اليمن ليضعه تحت قدمه فببر قسمه في . فلما انتهى  
ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امري فأقام  
ابرهة باليمن .

قال ابن اسحق : ثم ان ابرهة بنى القليس بصنعاء والقليس هي الكنيسة التي اراد  
ابرهة ان يصرف اليها حج العرب وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . ثم كتب الى  
النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم بين مثلها لملك كان قبلك ولست بمنعم  
حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي  
غضب رجل من النساء من بني فُقم من مضر اسمه الكِنَسانِي . والنساء هم العرب

الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيُحَاوَنُ الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحِلِّ ويؤخرون ذلك الشهر وهم ضربٌ من المخاضين قال ابن اسحق نجرج الكِنَانِي حَتَّى اتَى القَلْبِيسَ وأُحْدِثَ فِيهَا مَا يَفْضُبُ الحَبْشَةَ وَفَرَّ فَلَحِقَ بَارِضَهُ . فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ اِبْرَهَةَ فَقَالَ مِنْ صَنَعِ هَذَا فَقِيلَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي تَمَجَّجَ الْعَرَبُ إِلَيْهِ بِمَكَّةَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَكَ أَصْرَفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ . فَفَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ اِبْرَهَةَ وَحَلَفَ لِيَسِيرَنَّ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى يَهْدِمَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَاعْتِمَادًا لِقِيَامِ اِبْرَهَةَ عَلَى عَرَبِ الْحِجَازِ بِحَرْبٍ دَامَتْ شَهْرًا وَتَعْرِفُ بِحَرْفِ الْفَيْلِ أَوْ عَامِ الْفَيْلِ لِأَنَّ اِبْرَهَةَ سَارَ فِيهَا بِمَجْنَدِهِ رَاكِبًا فَيَلًا . وَقَدْ كَانَ دَلِيلَهُ رَجُلٌ مِنَ عَرَبِ ثَقِيفٍ مِنَ الطَّائِفِ يَدْعَى اِبَا رِغَالٍ . وَذَلِكَ بَأَنَّ عَرَبَ ثَقِيفٍ أَصْحَابَ اِنْكَعَبَةِ الْبِجَانِيَةِ فِي الطَّائِفِ الَّتِي كَانَتْ تُنَافِسُ اَلْكَعْبَةَ الْحِجَازِيَّةَ بِمَكَّةَ ارَادُوا هَدْمَ هَذِهِ اَلْكَعْبَةِ لِيُخْلُوَ لِمُ الْجَوْ فَأَرشَدُوا اِبْرَهَةَ الْحَبَشِيَّ عَلَى الطَّرِيقِ . وَقَدْ مَاتَ اِبُو رِغَالٍ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَكَّةَ فَرَجَمَتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ وَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَرْجَمُهُ النَّاسُ بِمَوْضِعِ يُقَالُ لَهُ اَلْمَغْمَسُ عَلَى ثَلَاثِي فَرَسَخٍ مِنْ مَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ الطَّائِفِ .

ويروى ان ابرهه لم يوفق في هذه الحملة على نيل مرامه وعاد الى اليمن دون ان يمس البيت بسوء . ولما مات ابرهه ملك اليمن انزبه يكسوم وبعد موته خلفه اخوه مسروق بن ابرهه . واساء الحبشة السيرة في اهل اليمن واشتد عليهم البلاء فقام سيف بن ذي يزن الحميري وطرد الحبشة من اليمن بمبارنة كسري انوشروان وملك البلاد . وكانت مدة ملك الحبشة في اليمن اثنتين وسبعين سنة . وبذلك تمت نبوءة سطح الكاهن اذ قال لربيعة بن نصر « بل ينقطع ( يعني ملك الحبشة على الي بن ) لبضع وسبعين يمضين من السنين » ونبوءة شقير الكاهن اذ قال « ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن » واذ سأل ربيعة من هذا العظيم الشأن قال « غلامٌ ليس بدني » ولا مُدَنٌ يخرج من بيت ذي يزن » . « للبحث صلة »

## علائق الحبشة بالبلاد العربية

« في الجاهلية وفي الاسلام »

- ٢ -

( ذكر انكسار الاحباش وخروجهم من اليمن ورجوع الحكم الى العرب تحت سيادة  
الفرس ) - سيف بن ذي يزن ويكنى بابي مرة من سلالة التبابعة ملوك حمير  
وآخريهم عهداً وهو الذي سعى في إخراج الحبشة من بلاد اليمن . وذلك ان ابرهة  
الاشرم لما تولى اليمن انتزع ربحانة زوجة ذي يزن وكان سيف صغيراً فترعرع في حجر  
ابرهة وهو يظنه اياه وكان ابوه قد أمّ كسرى انوشروان يستصرخه على الحبشة وان  
يكون ملك اليمن له فوعده النصره وطال تلبثه عنده حتى تصرم حبل اجله .

فلما شب سيف عن لحد ابناء ابرهة ان ينقص شأنه فعيره وهجّن اياه فبرع  
الى أمه وسألها عن امر ابيه فأعلمته اليقين فأقام حيناً الى ان مات ابرهة وابنه بكسوم  
وقام مسروق اخو بكسوم . فخرج سيف حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه  
امر الحبشة وسأله ان يخرجهم وبعث من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكّه  
قيصر . فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وكان عامل كسرى على الحيرة وما بليها من  
ارض العراق فشكا اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة في كل  
عام فأقم حتى يكون ذلك فنعمل . ثم خرج معه فأدخله النعمان على كسرى فطأطأ رأسه  
وبرك على نحو العادة المرعية في بلاط فارس وقال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا  
الاغربية . فقال له كسرى : اي الاغربية الحبشة ام السند . فقال بل الحبشة  
فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك . قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم اكن  
لأورط جيشاً من فارس بارض العرب . ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وكساء كسوة  
حسنة . فلما قبض ذلك منه سيف خرج وجعل ينثر تلك الدراهم للناس فبلغ ذلك  
الملك فقال ان لهذا شأننا ثم بعث اليه وقال له عمدت الى جباة الملك نثره للناس .  
فقال سيف وما أصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت أقدّمها للملك الا ذهب وفضة .  
فجمع كسرى مرزبته ( والمرازبة جمع مرزبان وهم الوزراء وعظماء السلطنة في

فارس) وقال لهم ما ذا ترون في امر هذا الرجل . فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل فلوانك تبعثهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وان ظفروا كان ملكاً أردته . فبعث كسرى من كان في سجونته وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم ( اي جعل عليهم عاملاً يعني قائداً ) رجلاً منهم يقال له وهرز . ولما وصلوا الى ساحل عدن جمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه . وقد قُتل مسروق بن ابرهة الحبشي في هذه المعركة ودخل وهرز مع سيف الى صنعاء . قال ابن اسحق : عن هذه المعركة عنى سطح الكاهن بقوله « يليه إرمُ ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن » . فلما قتل مسروق وانهمزم الحبش كُتب الى كسرى فامر ان يملك سيف بن ذي يزن وفرض عليه خراجاً وجزية في كل عام . وهكذا عاد ملك اليمن الى العرب ولكن بقيت السيادة العملية للفرس حتى ظهر الاسلام فأجهز عليهم وأدال دولتهم .

( ذكر هجرة الصحابة الى ارض الحبشة ) . — حدث عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق قال : لما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن ابن عمه ابي طالب وانه لا يقدر ان ينعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يُظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت هذه اول هجرة في الاسلام وكان المهاجرون من المسلمين الذين لحقوا بارض الحبشة سوى ابنائهم ونسائهم ثلاثة وثمانين رجلاً . فأمنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون في ذلك احداً وقد احسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به . ( وهنا عددهم المؤلف فرداً فرداً باسمائهم ) .

قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله (ص) قد آمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وانهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم ان يبعثوا نبيهم رجلين من قريش جليدين الى النجاشي فيردُّهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وامنوا فيها . فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل

وجمعوا لها هدايا للنجاشي ولبطارفته . ( والبطارفة جمع بطريق وهم عند الروم والحبشة كالأقبال عند العرب والمرازبة عند الفرس من عطاء المملكة وحكام الاقطاعات . والبطريق غير البطر كفالاول لقب لذي منصب سيامي ويدعوه الافرنسيون ( patrice ) او ( Patrique ) والآخر لقب لذي منصب ديني وهي اختصار لكلمة بطريك اليونانية ) .

قال ابن اسحق في عنعنة من حديث لام سلمة بنت ابي أمية ابن المغيرة زوج النبي (ص) قال قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمرنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ولم يتركوها من بطارفته بطريقاً الا اهدوا له هدية . ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص فأصروهما بأمرهم وقالوا لها ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان نكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار . فلم يبق من بطارفته بطريقي الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلمنا النجاشي وقالوا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم . وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردوهم اليهم فاذا كنا الملك فيهم فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لها نعم . ثم انها قدما هداياهما الى النجاشي فقبلها منها . ثم كاه فقالا له عش ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا انت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم فهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعاتبرهم فيه . قالت ولم يكن شي أبغض الى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشي كلامهم . قالت فقال بطارفته حوله صدقاً ايها الملك قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليها ليرداهم الى بلادهم وقومهم . قالت فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا أسلم اليها قوماً جاوروني



ونزلوا بلادي واختروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألم عما يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليها ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منبتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاؤوني . قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله (ص) فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما نقولون للرجل اذا جئتموه . قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا كنا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فشرخوا مصاحفهم حوله ، سألم ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الملل . قالت فكان الذي كلفه جعفر بن ابي طالب فقال : عش ايها الملك كنا قومًا اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأقي الفواحش ونقطع الارحام ونسبي الجوار وبأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانه وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبؤنا من دونه من الحجارة والاثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهاانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا وحرمانا ما حرم علينا واحلنا ما احل لنا . فعدا علينا قومنا فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء عن الله من شيء . قالت فقال له جعفر نعم . فقال له النجاشي فاقرأه علي . فقرأ عليه صدرًا من كهيص . قالت فبكي والله النجاشي حتى اخضت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم . ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله ما أسلمهم اليكما ولا يكادون . قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن

العاص والله لا آئنه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن ربيعة وكان اتقى الرجلين لا نفعل فان لم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا . قال والله لا أخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد . قالت ثم غدا عليه الغد فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم وسلمهم عما يقولون فيه . فأرسل اليهم ليسألهم عنه . قالت ولم ينزل بنا مثاقم قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا نقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه . قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ما ذا نقولون في عيسى بن مريم . فقال جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) هو عبد الله ورسوله ووجهه وكلمته ألقاما الى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي الى الارض وقال اذهبوا فانتم آمنون بارضي ، من سبكم عرتم . ردوا عليها هداياهما فلاحاجة لى بها . فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيسه ، وما اطاع الناس في فأطيعهم فيه . فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به . قالت واقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

( رجوع المهاجرين الى مكة ) . — ذكر سفيان بن عيينة عن الاحلج عن الشعبي ان جعفرأ بن ابي طالب رضي الله عنه رجع من الحبشة وقدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر .

وقال ابن اسحق ان قد بقي بارض الحبشة من اصحاب رسول الله (ص) حتى بعث فيهم رسول الله الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري بعد فتح خيبر فحملهم في سفينتين وقدم بهم الى مكة . فكان الذين رجعوا من الحبشة الثلث فقط ومات هنالك من مات والباقيون تخلفوا عن الحبي . وقد نصح بينهم واحد فقط وهو عبيدالله بن جحش فكان اذا مر بالمسلمين بعد نصرانته يتهمهم بقوله ففحسنا وصأصأتم اي ابصرنا وانتم تلتسون البصر فخرت هذه العبارة من ذلك اليوم مثلاً .

هذا حديث اول هجرة للصحابة الى الحبشة . وقد هاجروا اليها هجرة ثانية وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل الى مكة وهو على شركه قبل اسلامه فلني

المسلمون منه بلاءً واذىً وشدة فهم بعضهم وهاجروا الى الحبشة لينضموا الى من بقي مقبياً في تلك الارحاء . وكان ذلك استناداً الى ما روي في مكة عن اسلام النجاشي :  
( اسلام النجاشي اصمحة ) . - كان اسم النجاشي ايام هجرة المسلمين الى الحبشة اصمحة والعرب يقولون الاصم بن ابجر . قالوا انه اسلم سرّاً ولكن رواية اسلامه لا ذكر لها في تاريخ ملوك الحبش . وقد رواها ابن اسحق فيما يلي قال :

بعث رسول الله (ص) ابن عمه جعفرأ بكتاب الى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي الاصم ملك الحبشة . سلم انت فاني احمد الله اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكنته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاته على طاعته ، وان تتبعتني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله . وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرأ وتقرأ معه من المسلمين فاذا جاءك فاقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله . فقد بآغتُ ونصحت فاقبلوا نصحي . والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي الى رسول الله (ص) : « بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله من النجاشي الاصم بن ابجر . سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا اله الا هو الذي هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى . فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت انه روقاً . انه كما قلت . وقد عرفنا ما بُعثت به الينا . وقد قربنا ابن عمك واصحابه . فأشهد انك رسول الله صادقاً مصداً . وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثتُ اليك بابني ارها بن الاصم بن ابجر فاني لا أملك الا نفسي . وان شئت ان آتيك فعلتُ يا رسول الله فاني أشهد ان ما تقول حق . والسلام عليك يا رسول الله » .

ولكن بعد ان أورد ابن اسحق هذين الرقيمين التواريخين عاد فأوقع القاري في ريبة من امر الرد ( اي من امر جواب النجاشي ) ومن امر صحة الرواية التي أسندها اليه اذ قال : ان النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فاذا كانوا في وسط

البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا . كما ان تاريخ ملوك الحبش يدعو ابن اصمحة عمدة صهيون وقد ملك على الحبشة بعد موت ابيه .

وقال ايضاً المؤلف نفسه : حدثني جعفر بن محمد عن ابيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه . فأرسل الى جعفر واصحابه فنيا لهم سفناً وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم . فان هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بجيوش شتم وان ظفرتُ فاثبتوا . ثم عمِد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ويشهد ان عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكنيته ألقاها الى مريم . ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن <sup>(١)</sup> . وخرج الى الحبشة فقال : يا معشر الحبشة الست احق الناس بكم . قالوا بلى . قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم . قالوا خير سيرة . قال فما اكرم . قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد . قال فما تقولون انتم في عيسى . قالوا نقول هو ابن الله . فقال النجاشي واضعاً يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم ولم يزد على هذا شيئاً . فرضوا وانصرفوا . قال ابن اسحق : ولما مات النجاشي كانوا بمكة يتحدثون باسلامه وبانه رؤي على قبره نور . وقد صلى عليه النبي صلاة الغائب .

(فتوحات المسلمين في الحبشة) . — عندما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام بعد ان كانوا في الجاهلية اشتاتاً بعضهم لبعض عدو كما ذكرنا فويق هذا . اخذوا بثيرون الحروب بقصد التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار . قال العلامة احمد زكي باتا احد اعضاء هذا المجمع العربي في احدى محاضراته على تلامذة الجامعة المصرية « ان الحرب هي من طبيعة الانسان او هي من المصائب الضرورية كما يقول علماء العمران . واية دولة قامت قديماً او حديثاً وتوسعت في العمران بغير الحرب » اه .

وان في عداد الجيوش التي سيروها وفتحوا بها فتوحاتهم المشهورة في الشام ومصر

(١) القباء هو رداء الحبشة الوطني يُصنع من الوبر الاسود وهو يشبه البرنس عند اهل تونس ومراكش وجزائر المغرب .

والعراق وإفريقية حتى وفي بعض أنحاء أوربا سرية صوبوها إلى جارتهم الحبشة ففتحت أولاً بلاد الزيلع ونزلت أرض جيزرة التي تعرف اليوم بجيزرت وهذه البلاد هي صحراوية من أعمال الحبشة على ساحل البحر الأحمر . وانتشر منذ ذلك العهد الإسلام في جميع البلاد الساحلية السفلى التي تحيط بالحبشة الداخلية العليا وهي المعبر عنها في التواريخ العربية بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له ولا يزال منتشر إلى اليوم .

والأمراء الذين تولوها هم من بني عبد الدار ومن بني هاشم القرشيين . أشهرهم الأمير عمر الذي يقال له كشمع وولدها حق الدين ، وصبر الدين ، وعلي بن صبر الدين ، وسعد الدين محمد أبو البركات ، وأبو بكر بن علي ، وخلقوي بن منصور ، ومنصور بن سعد الدين وجمال الدين ، وحرب جوش ، وأحمد بدلاي وغيرهم . وهؤلاء كانوا في غزوات مستمرة مع الأحباش على عهد النجاشيين اسحق بن داود وأندراوس بن اسحق وحربناي بن داود . حتى تمكنت منهم الأحباش وأخضعتهم لسلطة الصولجان ولكنها لم تظلم المسلمين ولا فننتهم قط عن دينهم . وقد عامل النجاشيون الأمراء المسلمين الذين نادشواهم العداء معاملة حسنة حتى أنهم عادوا فولوهم وأولادهم من بعدهم على المقاطعات التي كانوا يحكمون عليها . وهكذا استتب الأمر وهدأت الفتن دهرًا طويلاً فيما بينهم .

قال أبو جعفر : وقد بعث عمر (رضه) علقمة بن عجز المدلجي إلى الحبشة في البحر وذلك إن الحبشة كانت نظرت طرفاً من أطراف الإسلام فأصيبوا . فخلف ابن لا يبعث برجاله إلى أرض الحبش .

وفي منتصف القرن السادس للميلاد قام الإمام أحمد أمير العدل المسلمين ( وبلقبه الأحباش بأحمد كران أي الأعور كما لقب العرب فيما سلف أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن بالاشرم ) بفننة كبيرة واستمال إليه الأمراء المسلمين حكام المقاطعات الحبشية الساحلية واستنجدهم على النجاشي فأنجدهم وقاموا معه جميعاً بالجهاد فدخلوا قلب الحبشة العليا ودبوخوا أهلها وجنودها وفتحوا مدينتها وقتلوا ودمروا حتى كاد الحبشة أن يُغلبوا على أمرهم ويزول سلطانهم فاستنجد النجاشي ملك البرنقال . وكانت البرنقال يومئذ دولة ذات عز وبطش وسيدة معمرات وأسعات الأرجاء بعيدة الانحاء . وكانت الهند ملكها واغنى مستعمراتها . فأنجده بجيش نزل إلى البر في مصوع

سنة ١٥٤١ تحت قيادة خريستوف دي كاما فكسر عساكر المسلمين في معارك كثيرة الا ان عسكره انكسر بعد ذلك وقتل القائد دي كاما في معركة مهمة . ولما نفي الخبر الى نائب ملك البرتغال في الهند وكان اخا القائد المقتول جهز نجدة أخرى وارسلها الى الحبشة فتمكنت من اصحاب الامام احمد وردتهم على اعقابهم . وقتل الامام نفسه في موقعة وايناد كما تخلفه على سرير هرر ابنه نور ولاء النجاشي نفسه على تلك المقاطعة الحبشية الاسلامية المتوسطة بين الساحل والداخل . ومن سلالة نور الامير عبد الله صاحب هرر السابق وهو حي يرزق على ما اظن . وقد حدث لهذا الامير ان قام على النجاشي منيلك فكسره النجاشي واسره في بلاطه وكانت هذه الفتنه دسيسة من الانكليز في أواخر القرن الماضي نفهمها فيما بعد النجاشي فعفا عن اسيرد الامير وعاد فولاه إمارته ورد اليه املاكه المحجوزة . واذ لم يحسن الامير بعد ذلك سياسته عزله وولى مكانه الراس مكون من امراء الاحباش فلزم الامير عبد الله بيته بجانب المسجد الذي شاده هو من ماله . وقد تعرفت اليه في هرر وكان شيخاً هراماً محترماً الجانب منكباً على العبادة وتقوى الله . وكانت بيني وبينه صلة الصداقة .

ومن آثار فتوحات الامام احمد في قلب الحبشة العليا اسلام مقاطعة جيتا باجمعها وسكانها من قبائل الكالا فلم يجبرهم النجاشي على العودة عن اسلامهم وولى عليهم اميراً مسلماً يتوارث عنه ولده الإمارة . وقدام امير جيتا بحاشية كبيرة عاصمة الحبشة اديس ابابا ابان اقاضي فيها لمواجهة النجاشي فتسنى لي التعرف اليه ويدعى الامير محمداً ابا جعفر . والحبشة يقولون « دجيتا ابا جعفر » وهو الذي زوج ابنته من النجاشي يسوع الثالث الذي أسلم ابان الحرب العالمية .

( اسلام النجاشي يسوع الثالث بن ميخائيل ) . — الراس ميخائيل ابو هذا النجاشي كان اميراً مسلماً يحكم في طاعة النجاشي بلاد قبائل الواو المسلمين وكان اسمه السلطان محمد علي . ثار على ملكه منيلك الثاني فظفر به النجاشي واسره وولى حاكماً مسيحياً على بلاده . وكان محمد علي هذا رجلاً زكياً فظناً . فلما امسى اسيراً ذليلاً في قصر النجاشي ورأى في طبع منيلك حلاً ودعة وفي سياسته ميلاً عظيماً لجمع القلوب وتاليف الوحدة الوطنية في إقطاعات مملكته . اخذ يستعطف وبتقرب من باپه ثم

تنصر على يده وهكذا دأب في التجبب اليه حتى نال حظوةً لديه ولقبه بلقب رأس  
( وهو أكبر لقب في الحبشة يوازي لقب خديوي التركي و Vice roi الافرنجي ) .  
وصاهره بان زوجه من ابنته البكر وأعادة عاملاً على بلاده يحكم باسمه قبائل الواو .  
وقد رُزق من امرأته ابنة النجاشي ولداً ذكراً دعا اسمه يسوع . فلما نما هذا الذي حتى بلغ  
السادسة او السابعة من عمره اتى به ابوه الى بلاط جده النجاشي حيث أقام مع اترابه  
اولاد الامراء الذين يؤلفون غلمان القصر .

« هذه العادة لا تزال متبعة الى اليوم في قصور النجاشي وأمرائه وهي قديمة العهد  
جداً وكانت مرعية عند ملوك اليونان والفرس والرومان وملوك اور با جمعاء في عهد  
الاقطاعات وبعده . وهوؤلاء الغلمان يدعوم الافرنج ( les pages du Palais ) .

واذ أنك المرض منيملك في أواخر ايامه واشتد تأثيره على دماغه ولم يكن له عقب  
ذكر يرث الملك من بعده حتى ولا واحد من ابناء عمه وذوي قرياه من العصبيين  
انقسم امراء الحبشة فيما بينهم احزاباً في امر هذه الوراثة فشد بعضهم أزر الملكة  
طهايتو ( وبالعربية الشمس ) لترث التاج عن زوجها وتحيز غيرهم لابنته الثانية الاميرة  
زوديتو ( وبالعربية صاحبة التاج ) ( لان البنت البكر زوج الراس ميخائيل كانت قد  
توفيت ) وهي المعاهلة الحالية . ومنهم من تحزب للامير تقري ( وبالعربية هيوب )  
ابن الراس مكوون ( وبالعربية القاضي ) وعضد الراس ميخائيل ابنه الامير يسوع  
حفيد النجاشي الداخل في طور النزاع ولف حوله لفييف من مرديه المقربين . فنقلب  
هذا الحزب بدعائه على سائر الأحزاب واقترص يوم ضعف شديد في عقلية النجاشي  
فأقعده بتسمية حفيده الامير يسوع ولياً لعهدده وكان لم في يوم من شتاء عام ١٩٠٩  
ما طمحوا اليه فنودي بالامير يسوع بن ميخائيل ولياً لعهد السلطنة ووارثاً لتاج جده  
الامبراطور منيملك الثاني وقد جلس بعد وفاة جده على عرش الحبشة عام ١٩١٣  
وأوج باسم يسوع الثالث وهو أحدث لا يتجاوز السنة السادسة عشرة من عمره .  
فتلاعب به الدساسون وكان اول عمل حملوه عليه تسمية ابيه الراس ميخائيل فائداً  
عاماً لقوات الحبشة ثم قلدهم مناصب المملكة لمريديه من الحزب الذي ينتمي اليه فكان

من وراء هذا الفعل ما كان من استيلاء بقية الاحزاب وانتقاضهم عليه واشتعلت الحبشة بثورة يخرج شرحها عن ملاك موضوع هذه المحاضرة .

ولما هبت رياح الحرب الكونية واشتعلت نيرانها اغنم الالمان فرصة الثورة الضاربة في الحبشة وعملوا على الانتفاع منها وتحويلها لآرهم وكان النجاشي يسوع قد هرب ببعض رجاله الموالين الى هرر . وهناك دهاه الالمان وأشاروا عليه بالعودة الى دين أجداده موهمينه انه بهذا يستطيع ان يجيش قبائل المسلمين في السواحل فيسترد بها عاصمته ويقهر اعداءه القائمين عليه . ولم يكن الالمان ليطنوا في ذلك الا الاغارة بهذا الجيش على المستعمرات الافرنسية والانكليزية والاطالية القائمة على شواطئ بحر القلزم . وقد جازت حملة الالمان السياسية على النجاشي يسوع فأذعن لهم وأسلم ودعي محمد يسوع وبث الدعوة الى الجهاد بين الحبشة المسلمين فتبعه قوم منهم وخشي قوم سوء المغبة فلم ينجدوه . وبلغ ذلك أسقف الحبشة الانبامتاؤوس المصري الصعيدي ( المتوفى حديثاً ) فأفتى بخلعه . ونصح سفراء الحلفاء للاحزاب فانضموا بعد تشييت آرائهم وعادوا فألقوا كتلة واحدة وطنية رصت بنيان كيائها ونادت بالاميرة صاحبة التاج ابنة النجاشي منيلاك عاهلة بالأصالة سنة ١٩١٦ و بالامير ثفري ابن الراس مكون قبا على المملك بالوكالة وولياً للعهد لان العاهلة المذكورة مترملة من زوجها عن غير عقب .

واذ نهض النجاشي محمد يسوع بالموالين الى العاصمة ليفتحها عنوة تشنت شمل جنده ووقع ابوه الراس ميخائيل اسيراً فانهمزم عند ذلك النجاشي الى صحراء الدناكل وعزم ان يجناز البحر الاحمر الى ساحل اليمن فلم يفلح لان اعداء اصحابه الالمان كانوا له ولم بالمرصاد فلجأ الى مقاطعة نكره حيث لحق به الامير ثفري فأسره وساقه الى منفي الملوك . وبهذا انتهى امر هذا النجاشي وامر دسائس الالمان الذين استخدموه لقضاء مآربهم فكانوا سبب شقائه .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله رعم